الفصل الخامس
المكتبة في مصر القديمة

إن المطلع على إنجازات الحضارة المصرية القديمة لابد أنه سيدرك للوهلة الأولى أن أمة بهذه الإنجازات لابد أنها كانت تهتم بالعلم والعلماء والباحثين والدارسين، وتهيئ لهم كل أدوات العلم والمعرفة، وعلى رأسها المكتبة التي تضم بين جنباتها كل ما أمكن من فروع العلم والمعرفة في العلوم والآداب والفنون والعمارة والديانة وغيرها.

وفي كتابه عن المكتبات في مصر القديمة ذكر **فستزكي** Wessetzky في كتابه الذي نشر عام ١٩٧٧م أن **أولن دال** Uhlen dell (وهو من أهم المؤرخين لتاريخ المكتبات) قد ذكر: **"نحن لا نعرف شيئاً عن المكتبات في مصر القديمة قبل العصر الهيلينستي".**

والواقع أن ما ذكره "أولن دال" ليس بدقيق بصدد الحضارة المصرية القديمة لأسباب كثيرة، من بينها:

أولاً: تلك الإنجازات الكبيرة التي حققتها الحضارة المصرية في ميادين مختلفة (كالعلوم، والآداب، والمعارف، والفن، والعمارة، إلخ)-ما كان يمكن أن تحدث دون إلمام شامل بالعلوم والمعارف المسجلة على البردي والأوستراكا (كسرات من الفخار أو الحجر الجيري) وغيرها من مواد الكتابة، والتي تعتبر في زمنها بمثابة الكتب في عصرنا الحديث. وهذه الوثائق وخصوصًا لفائف البردي والأوستراكا كانت تحفظ بعناية في مكان آمن ومجهز بشكل يسمح للدارسين بالاطلاع عليها.

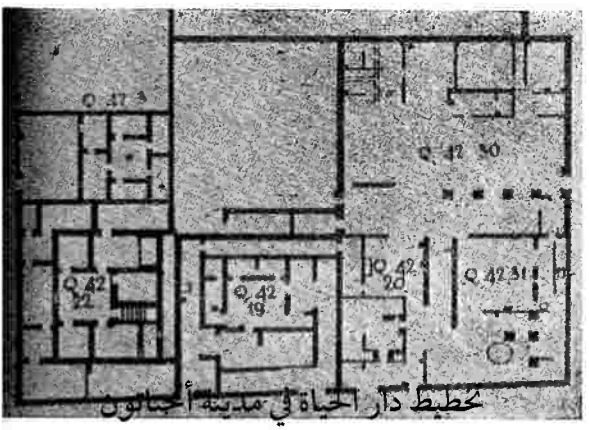

تخطيط دار الحياة في مدينة أخيتاتون

ثانيًا: إن اللغة المصرية القديمة حفلت بالكثير من المفردات التي تعبر عن المكتبة ودار الوثائق والكتب، وأمناء المكتبة، والوظائف العديدة التي يشغلها العاملون في المكتبة، وكلها تؤكد هذه الحقيقة الواقعة، ألا وهي وجود المكتبات على أرض مصر لترعى كل فروع العلم والمعرفة والإبداع.

ثالثًا: إن المكان الذي كان يضم الكتب بين جنباته كان يعرف باسم "pr-md3t"، وهو الذي يقابل في مصطلحاتنا الحديثة **"دار الكتب"** أو **"المكتبة"**. والمكتبات في كل مكان وزمان تتطلب تصنيفًا للكتب وعرضًا لها، وتوثيقًا وفريق عمل..إلخ.

هكذا كان الحال بالنسبة للمكتبات في مصر القديمة. وبغض النظر عن حجم مبنى المكتبة والتسهيلات التي تقدمها وأعداد الكتب بها، فإن هذه المنشأة تعامل كمكتبة بكل المفاهيم في الأزمان القديمة والحديثة وفي كل الأماكن.

إن المطلع على المصادر اليونانية سوف يرى أن الفلاسفة اليونانيين والمفكرين والعلميين والفنانين كانوا يحرصون عند زيارتهم لمصر على متابعة إنجازات الحضارة المصرية، ومن ثم كان لابد من أن يتوجهوا إلى المكتبات الكائنة على أرض مصر للاطلاع على الوثائق التي وضعت في المعابد والقصور والمؤسسات الدينية والتعليمية.

وليس أدل على أهمية الكتب كأداة للتعليم من كثرة المفردات التي وردت في اللغة المصرية للدلالة على "كتاب، ولفة بردي، ومخطوطة..إلخ".

المفردات الدالة على معنى "كتاب":

- (cr.t) **"عرت"**، وتعني: كتابًا من البردي أو الجلد[١].

- (Md3.t) **"مجات"**، وتعني: كتابًا أو لفة بردي[٢].

- (Mdd.t) **"مجدت"**، وتعني: كتابًا وهي كتابة متأخرة للكلمة السابقة[٣].

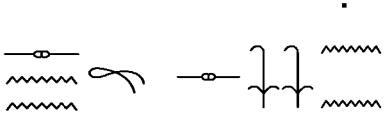

---

(1) Wb.1,208:17-19.
(2) Wb.11,187:5 ff.
(3) Wb.11,192:16.

- (Snn) "سنن"، وتعني: كتابًا[١].

- (Ss, sh) "سش،سغ"، وتعني: كتابة أوكتابًا[٢].

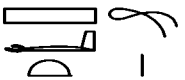

- (Sc.t) "شعت"، وتعني: خطابًا أوكتابًا دينيًّا[٣].

- (Sfdw) "شـــفدو"، وتعنـــي: "بـــردي" كـــأدوات كتابـــة أو ككتاب[٤].

- (t3w) "ثاو"، وتعني: كتابًا[٥]

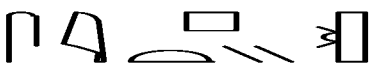

- (Sip.ti,[٦]cf) "سـيبتي، عـف"، وتعنـي: كتابًـا عـن محتويـات معبد[٧]

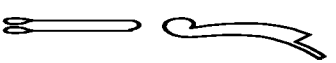

- (Tt) " ثت"، وتعني: كتابًا *(mistress of books)*[٨].

كما أشير للمكتبات بالمصطلحات التالية:

-بيت الكتاب: (بر-مـچات)، "*pr-md3t*".

---

(1) Wb.III,460:1-5.
(2) Wb.III,476:16-479:9;ef.478:18-19 f.
(3) Wb.IV,418:10-419:19.
(4) Wb.IV,461:11-17.
(5) Wb.V,349:16-18.
(6) Wb.IV,36:5 f.
(7) Wb.IV,36:11.
(8) Cf. Wb.V, 338:7-8.

-بيت كتاب الإله: (بر-مـچات-نثر)، "*pr-md3t ntr*".

- بيت كتاب القصر: (بر-مـچات-بر-عا) "*pr- md3t pr-c3*".

- بيت الكتابة: (بر-سشو)، "*pr ssw*".

- مكان الكتابة: (ست -سشو)، "*st ssw*".

ولقد عرف المصطلح (*pr-md3t*) منذ الأسرة الثالثة (القرن ٢٧ ق.م)، وظل يُذكر في النصوص المصرية حتى منتصف القرن الأول الميلادي. وقد ورد هذا الاصطلاح في معابد ومقابر في سقارة، والجيزة، وأبو صير، ومنف، وتل بسطة، وأسيوط، وتانيس، وأسوان، والبرشا، وقفط، وأبيدوس، وماير، والحواويش، وأبو سمبل، وبوهن، وفي معابد كثيرة مثل "الرامسيوم، وإدفو، وفيلة، ودندرة"، وفي قصور مثل "قصر الملك أمنحوتب الثالث".

معبد ومكتبة الرامسيوم

الآلهة والإلهات المعنية بأمر المكتبات:

١. "سشات" إلهة الكتابة	٢. إيزيس
٣. حاتحور	٤. ماعت
٥. باستت	٦. چحوتى
٧. حور	٨. أوزير
٩. آتوم	١٠. آمون
١١. ست	١٢. خنوم

وكانت المكتبة تُدار من خلال مجموعة من الموظفين، وتختلف درجاتهم الوظيفية حسب طبيعة عملهم.

وهم:

الكاتب: ss (سش):

وهو المسئول عن الكتابة، والنسخ، وقراءة المخطوطات. وفي إطار أدب النصيحة يقول المدرس لتلميذه: "كن كاتبًا ماهرًا في دار الكتب لتصبح أمينًا للكتب".

الكاتب الفرد الأول في أعضاء المكتبة

وكان الكاتب في "دار الكتب" يوصف بأنه "الذي يعرف كل شيء، والذي يعرف كل لفائف البردي في دار الكتب".

مفتش الكتبة: SHD SS (سحـچ- سش):

يعتبر شاغل هذه الوظيفة شخصية مرموقة، حيث حمل إلى جانب هذا اللقب ألقابًا مهمة، مثل "القاضي" و"حاكم المقاطعة". وكان يوصف بأنه أكثر تعليمًا ومهارة بين الكتبة، وكان يراقب عمل الكتبة، ويهتم بتدريبهم على الكتابة والتسجيل وحفظ المخطوطات.

مفتش دار الكتب: SHD PR- MD3T (سحـچ بر-مـچات):

وهو الذي يشرف على المكتبات، ويراجع التسجيل والحفظ والعمل اليومي للموظفين، وكان يحمل ألقابًا مهمة أخرى.

مفتش أختام دار الكتب: SHD HTM PR-MD3T (سحچ ختم بر- مچات):

كان يشرف على ختم لفائف البردي لضمان سلامة ما فيها من معلومات.

كاهن دار الكتب: HM-NTR PR-MD3T (حم- نثر بر- مچات):

وهو الملم بكل الجوانب الدينية والأساطير، وكان يتحمل مسئولية الإشراف على النصوص الدينية.

رئيس المكتبة: HRY-TP M PR-MD3T (حري- تب إم بر- مچات):

أبرز شخصيات المكتبة، فكان يحمل ألقابًا أخرى مهمة، مثل كاهن (*sm*) في معبد التحنيط، والكاتب الملكي، وحامل ختم الملك، ورئيس فريق العمل بالقصر الملكي.

المشرف على الأسرار في دار الكتب: HRY-SST3 M PR MD3T (حري- سشتا إم بر مچات):

وهو المعني بالأسرار الدينية، الطبية والعلمية في المكتبة.

أمين المكتبة: IRY MD3T (إيري- مچات):

وهو المسئول عن تصنيف الكتب.

خادم دار الكتب: SDM-CS M PR-MD3T (سچم- عش إم بر- مچات) : وهو المسئول عن خدمات المكتبة.

موقع المكتبة:

كانت المكتبة تقع في المعابد والقصور والمؤسسات التعليمية والدينية. ولعل من أفضل أمثلة مكتبات المعابد مكتبة معبد الرامسيوم للملك رمسيس الثاني، وهي عبارة عن صالة يقوم سقفها

على ثمانية أساطين تلي صالة الأعمدة، ويزخر سقفها بمناظر فلكية، وعلى جانبي المدخل نرى تمثيلاً للإلهة "سشات" إلهة الكتابة، والإله "چحوتي"، إلى جانب الملك رمسيس الثاني، يحملون أدوات الكتابة وقد عثر على مناظر مماثلة بحجم أصغر في معابد إدفو وفيله والطود، ويتضح من النصوص المصاحبة أن المعابد كانت هي المأوى الرئيسي للمكتبات.

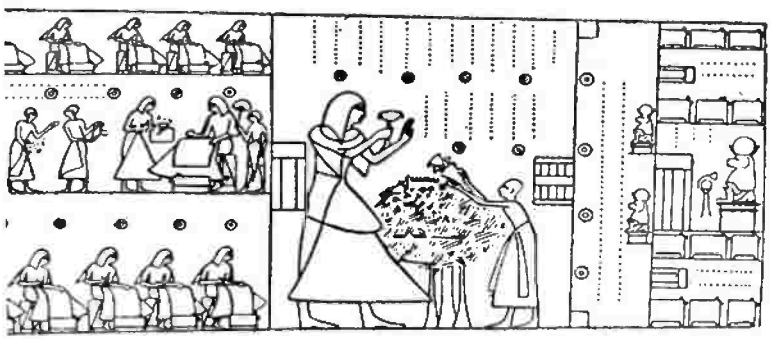

ديوان الكتبة

ولقد اعتاد ملوك مصر أن يُبدوا الكثير من العناية لمكتبات المعابد، وعندما يقومون بالزيارة يسجلون مقولة: "قلبي شغوف بكتب الإله في المكتبة".

دور المكتبة

يمكن تحديد دور المكتبة فيما يلي:

١-حفظ الكتب والوثائق.

٢-ممارسة أنشطة ثقافية داخل المكتبة وخارجها للوصول إلى المجتمع المحيط بها.

٣-تعليم موضوعات دنيوية ودينية لبعض التلاميذ الواعدين من خلال مدرسين متميزين.

٤-مد المعنيين ببعض فروع العلم (كالطب والهندسة) بالجديد في هذا الميدان.

هكذا كانت المكتبة في ذلك الزمن القديم تلعب دورًا شاملاً لم يكن مقصورًا على حفظ الكتب، والسماح للزوار بالاطلاع

عليها، ولكنها مكان للبحث. ونعرف من أحد النصوص أن الملك "نفرحتب" (من الأسرة ١٣) أراد أن يراجع بعض المعلومات عن الكتابات القديمة للإله "آتوم" ليعرف أكثر عن تاسوع هليوبوليس، فاستُقبل من قبل مدير المكتبة الذي تحدث في حضرة الملك قائلاً: "مرحبًا بك يا جلالة الملك في المكتبة لتراجع ما تشاء".

العلوم والمعارف التي تضمها المكتبة:

كانت المكتبات المصرية تزخر بالعديد من المخطوطات في علوم الفلك، والطب، والصيدلة، والرياضيات، والتاريخ، والتحنيط، والديانة، والترميم، والجوانب العسكرية. ولقد ورد في الأوديسا (إحدى ملحمتي الشاعر هوميروس) أن مصر تعتبر مركزًا لأفضل الأطباء. ولقد تعلم فلاسفة وعلماء اليونان (مثل سولون، وتاليس، وبيتاجورس، وأفلاطون) تعلموا كثيرًا عن مصر من خلال المكتبات المصرية القديمة في القانون والفلك والهندسة، وكانت هليوبوليس ومنف بمثابة مركزين ثقافيين وتعليميين هامين.

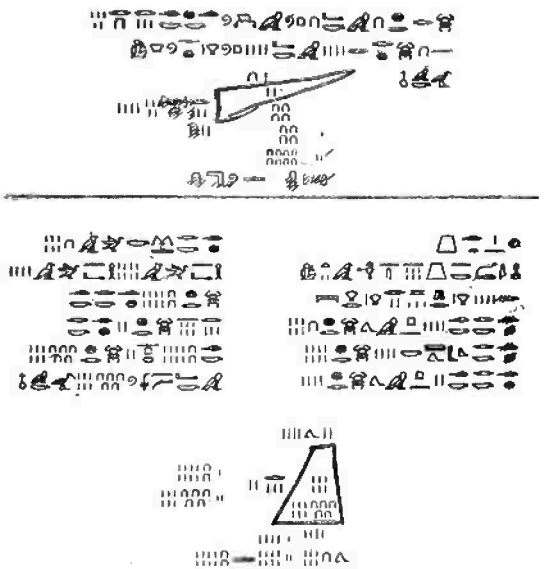

مخطوطة تمارين رياضية

ولقد أشار الأدب المصري في مواضع عدة إلى أهمية الكتب والمكتبات، فهذا حكيم يقول لابنه: "إن كتابًا واحدًا يعتبر أكثر قيمة من بيت أو من مقصورة في الغرب، إنه أثمن من قصر أو نصب تذكاري في معبد". وأشارت النصوص كذلك إلى أن أسرار الإلهة "إيزيس" توجد في دار الكتب.

ولقد بلغ عدد الوثائق التي أشارت إلى المكتبات أكثر من ٢٢٠ وثيقة تناولت المفردات الدالة عليها، والموقع، والمحتويات، والعاملين، والآلهة والإلهات المعنية بأمر المكتبة. وكانت الإلهة "سشات" إلهة الكتابة توصف بأنها "التي تتصدر المكتبة". وكانت النصوص تشير بين الحين والآخر إلى أن هذه الكتابات أو تلك قد وجدت في مكتبة المعبد، وفي إحدى برديات متحف "تورين" يقول صاحب البردية: "أعيش في دار الكتب التي تحوي الملايين من الكتب".

وتقديرًا للمكتبات وللعاملين فيها كان يسمح لمدير المكتبة بمقابلة الملك والأسرة المالكة وكبار رجال الدولة.

ولأن المصريين كانوا روادًا في مجال الترميم والحفظ، فهناك نص يقول: "إن مكتبة الملك قد تدهورت وبحاجة إلى ترميم".

هكذا كانت المكتبات علامة بارزة على طريق الحضارة المصرية، وكانت حقيقة واضحة قبل ظهور المكتبات اليونانية بكثير، وما كان يمكن للحضارة المصرية أن تحقق هذا الإبداع دون علم ومعرفة، وكانت المكتبات هي المراكز الرئيسية التي يُستقَى منها العلم وتُكتسَب منها المعارف.